عرض اطروحة

صراع الحضارات والسياسة الامريكية حيال الدول الاسلامية

للطالبة زينب هادي خلف، كلية العلوم السياسية-جامعة النهرين، سنة ٢٠٠٨

عرض

م.د. سداد مولود سبع(*)

تبحث الدراسة في بيان فكرة مهمة، وهي ان صراع الحضارات ليس فكرة وليدة الحاضر بل هي فكرة لها جذور تاريخية عميقة في الحضارة الغربية تعود الى العصر اليوناني والروماني، الذي ساد فيه مفهوم الصراع بدلالاته المتعددة والمتنوعة انطلاقاً مما كان سائداً في الفكر اليوناني القديم من عقيدة الصراع القائمة على تعدد الالهة والذي افضى الى الصراع بينها (صراع القوة والضعف) و(صراع الخير والشر) و(صراع الانسان مع الطبيعة) و(صراع الانسان مع الالهة)، لذا فالصراع هو احد الاسس الثابتة التي تقوم عليها الحضارة الغربية الحديثة ، وهو جذر ثابت من جذور الفكر الاوروبي الحديث في اطواره التاريخية المتعاقبة.

وانطلاقاً من هذه الاسس، فقد تطورت فكرة الصراع مع تطور المجتمعات الاوروبية واتساع احتياجاتها ومطامعها حتى وصلت الى ما آلت عليه الان، ومن ثم فأن اثارة فكرة صراع الحضارات نهاية عقد ال ثمانينيات وبداية عقد التسعينيات من القرن الماضي، كانت لسد فراغ القوة بعد انهيار الاتحاد السوفيتي ورغبة الولايات المتحدة الامريكية في البحث عن عدو جديد من اجل الهيمنة والتسلط وفرض النموذج الامريكي على العالم، عبر توظيف فكرة صراع الحضارات والتأكيد على ان الص راع القادم الذي سيشهده العالم لن يك ون صراعاً ايديولوجياً بل صراعاً حضارياً وان الحضارة الاسلامية هي التي ستكون في مواجهة الحضارة الغربية . واستطاعت الولايات المتحدة الامريكية توظيف احداث (١١ ايلول) لتأكيد فكرتها حول الصراع ولتبرير تدخلها في شؤون الدول الاسلا مية وتغيير نظر الحكم فيها تحت ذريعة مكافحة الارهاب، ونشر الديمقراطية، والحريات العامة والترويج لحقوق الانسان، والحفاظ على السلم والامن الدوليين.

لذن يتضح جلياً اهمية البحث في موضوع صراع الحضارات والسياسة الامريكية تجاه لدول الاسلامية لكونه مرتبطاً بالاسلام والدول الاسلامية، لاسيما في ظل استغلال الفكر الغربي لنظرية الصراع بين الحضارات والثقافات من اجل البحث والتفتيش عن عدو جديد، وهو الاسلام والهدف الاساس منه ضمان السيطرة على الموارد والاسواق والثروات التي تتمتع بها الدول الاسلامية.

وأنطلقت الدراسة من فرضية مفادها: أن ثمة استمرار في ظاهرة صراع الحضارات، لاسيما بين الحضارة الاسلامية والغربية تحديداً، وعملية التغيير هو في الوسائل والاليات التي استخدمت من قبل الغرب– والولايات المتحدة الامريكية تحديداً–تجاه الاسلام. وللبرهنة على هذه الفرضية فقد قسمت الباحثة الدراسة الى ثلاث فصول.

(*) مركز الدراسات الدولية-جامعة بغداد

تناول الفصل الاول الاط ار النظري للدراسة وذلك بتقسيمه ع لى مبحثين، الاول تناول الاطار المفاهيمي

للحضارات بين الصراع والحوار من خلال بحثه في معنى الحضارة والمفاهيم المقاربة لها وهي الثقافة والمدينة . وتناولت الباحثة معنى الحضارة في اللغة، و في القران الكريم ودلالاتها عند العرب وكيف تطور المفهوم بتطور حياة الفرد فهي لا تتصف بالمرحلية بل تتميز بالكلاسيكية والديناميكية والاستمرارية . واحد شواهدها المادية والعلمية هي الثقافة، والثقافة بمعناها المعاصر تختلف عن المفهوم المقدم لها قديماً سواء في اللغة العربية او اللغات الاجنبية، وقد اتفقت الباحثة مع تعريف المفكر العربي محمد عابد الجابري للثقافة بأنه "ذلك المركب المتجانس من الذكريات والتصورات والقيم والرموز والتعبيرات والابداعات التي تحفظ الجامعة البشرية بهويتها الحضارية من اطار ما تعرفه من تصورات بفعل ديناميتها الداخلية وقابليتها للتواصل والاخذ والعطاء . اما المدنية وهي الكلمة المرادفة للحضارة لدى البعض، ذات المدلول الاجتماعي ومظهر للاجتماع المنتظم المتحضر . الا ان المدنية تشكل الجانب المادي للحضارة لانها تكونت معها، وهي تبحث بالماديات من علم وصناعة واكتشافات فهي نتاج جهد الانسان في السيطرة على محيطه الطبيعي . والحضارة هي التي تتحكم بعملية استغلال المدنية.

كما تناولت الباحثة كذلك البحث في ظاهرة الصراع لدى علماء النفس وعلماء السياسية وتم التركيز على ان الصراع هو سمة بارزة للعلاقات الانسانية، وهذه العلاقات تف رز تنوعاً باشكال ومصادر الصراع فهو قد يكون صراعاً سياسياً، اقتصادياً، او منهجياً، او دعائياً، او ثقافياً، وحتى حضارياً . وهو ما يفضي الى تنوع باساليب الصراع بدورها والتي تختلف من الضغط الى الحصار والاحتواء والتهديد والارهاب والعقاب الى التفاوض والمساومة والتحالف او حتى التخريب والتآمر . وعلى نقيض الصراع كلمة الحوار، وهي في اللغة تعني التفاهم الانساني، او العلاقة بين طرفين، كما يقصد به اداة لمعالجة موضوع من الموضوعات المتخصصة في حقل من حقول المعرفة والعلم او جانب من جوانب الفكر والعقيدة للوصول الى حقيقة معينة من وراء هذا الحوار . وفيما يتعلق بحوار الحضارات، فان هذا الموضوع لم يلق الصدى نفسه الذي لاقاه موضوع صراع الحضارات، لانه افتقد لاهم عناصره واسسه المنهجية والعمل ية فالحوار لكي يكتسب عناصر النجا ح، ينبغي له ان يبدأ بالتسليم بالتكافؤ الحضاري، وه ذا ما تفتقد ه السلحة الدولية . فالحوار مطلب اساسي لادامة الحياة، وهذا لا يحدث الا بالاعتراف المتبادل لكل الثقافات سواء كانت عظمى والصغرى لان كل الثقافات هي نتاج للتاريخ.

اما المبحث الثاني والذي حمل عنوان رؤية في السياق التاريخي والفكري لاطروحة صراع الحضارة، عبر بحثه في اطروح ة صراع الحضارات في مرحلة ما قبل الحرب الباردة وما بعدها، والمرحلة الاولى هي مرحلة الحروب الصليبية، بدراسة اسباب هذه الحرب وانعكاساتها على تلك المجتمعات لاسيما وان المجتمعات في تلك الحقبة ارتبطت بشكل وثيق بالايديولوجية ذات الاساس الديني، فكانت الدعوة الى ال حروب الصليبية تناسب ذلك العصر . ثم انتقلت للبحث في حقبة النهضة الاوروبية التي ساهمت بديمومة صراع الحضارات في ظل الهيمنة الاوروبية وسيادة النظام الرأسمالي بعد تراجع سلطة الكنيسة لصالح السلطة المدنية، ومحاولة هذه الاخيرة استيعاب رجال الدين المحافظين لتطوير الحركات التبشيرية والارساليات في البلدان الاسلامية . وهي جزء من صراع الحضارات، واحد اهم وسائله : الاستشراق الذي يرمي الى تشويه الثقافة الاسلامية، والتطبيب عبر استغلال هذه المهنة السامية واستخدامها كوسيلة للتبشير، والتعليم كذلك عد وسيلة مهمة من قبل المبشرين لار تباطه بالناشئة والاطفال، وهنا استخدم من قبل المستعمرين في البلاد الخاضعة لسيطرتهم . كذلك استخدم الم ستشرقون وسيلة اخرى وهي اثارة الفتن داخل الامبراطورية العثمانية تمهيداً لاضعافها من الداخل، وبسقوط الدولة العثمانية انتقل الصراع الحضاري الى مرحلة اخرى ومكان و ايديولوجية مختلفة، وهي مرحلة الحرب الباردة والصراع الايديولوجي هو بين القطبين الفاعلين في النظام الدولي آنذاك، وهما

الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي (سابقاً) واستخدم كلاهما وسائل عدة في هذه الصراع، كان للتأثير الدعائي الدور الاهم فيها. ومع انتهاء الحرب ا لباردة بدأت طروحات عديدة تصف الوضع الدولي استناداً الى عدد من الاطروحات، اهمها اطروحة نهاية التاريخ لفرانسيس فوكاياما، وصراع الحضارات لصامويل هنتكتون، والذي افترض هذا الاخير ان العدو الجديد للحضارة الغربية هو الاسلام.

وجاء الفصل الثاني ليبحث في خصائص الحضارة الاسلامية وخصائص الحضارة الغربية نقاط التقارب والتباعد، وتم البحث بأهم سمات الحضارة الاسلامية وخصائصها، وهي الابداع الفكري لانها اثبتت عبر التاريخ الانساني الطويل، انها امة استطاع التاريخ ان يخلدها فالانفتاح الفكري فتح ف ي ظل المبادئ الاسلامية التي انفتحت على الفكر غير العربي. كما امتازت الحضارة الاسلامية بالتكامل، والالتزام الاخلاقي، وتحليل الظواهر بعللها الطبيعة، ويعارض الفكر الاسلامي التعصب والجمود . وتحث الرسالة الاسلامية على التآخي بين المسلمين، ولم يترك الجانب السياسي دون تنظيم فقد كفل الاسلام مبدأ الشورى كنظام للحكم يقيد به الحاكم، فضلاً عن كفالته لحقوق الانسان منذ طفولته وحتى بعد مماته، وساوى بين الناس جميعاً ، وضمن حقوق المرأة وكفل لها حيا ة حرة كريمة. الى جانب احترامه للديانات الاخرى. لكن هذه الخصائص التي امتازت بها الحضارة لم يتم الالتزام بها، وهو ما قاد الى تراجعها.

كذلك تم البحث بأهم سمات الحضارة الغربية وخصائصها ، وركزت الباحثة على نقطة جوهرية وهي مدى اعتماد الحضارة الغربية على الحضارة الاسلامية سواء بالفكر او بالعلماء المسلمين وبوسائل اخرى، الا ان الفكر الغربي امتلئ بتعصبه ضد الشرق وزاد تعصبهم تجاه المسلمين بعد الفتوحات الاسلامية وكان من ثمرة التعصب الحروب الصليبية كمثال بارز عليها . كما امتازت الحضارة الغربية بأنها لم تساوي بين المواطنين بل قامت على اساس التمايز الطبقي والنزعة المادية، وهي ما تتعارض مع مبدأ المساوات. فضلاً عن الاستعلاء على الاخرين، فالحضارة الغربية قامت على اساس العنصريةوالتميز بين البشر . ثم انتقلت الباحثة للبحث في نقاط التقارب والتباعد بين الحضارتين، فما يقرب بين الحضارتين هما الشورى والديمقراطية، والحرية وان كانت تعني لدى الغرب الفوضى في احيان كثي رة، وما يباعد بين الحضارتين هو النظرة المتباينة للانسان، واحترام الاخر بالنسبة للمسلمين، وانعدامه بالنسبة للحضارة الغربية، وهناك عملية الفصل بين الدين والدنيا في الحضارة الغربية، اما الحضارة الاسلامية فهي لا تفصل بين الدين والدنيا فالدين ينظم الدنيا.

وجاء الفصل الثالث ليتناول وسائل السياسة الامريكية في تصدير وتنفيذ أطروحة صراع الح ضارات والطروحات الاسلامية المواجهة . عبر البحث في و سائل السياسية الامريكية في تصدير وتنفيذ اطروحة صراع الحضارات من خلال ثلاث وسائل هي : الوسائل الثقافية والاجتماعية عبر الاعتماد على الثورة المعلوماتية والاتصالية وعلى العولمة الثقافية والاجتماعية . والوسيلة الثانية هي الاقتصادية بالاعتماد على منظومة الشركات العابرة للقارات، والقروض الاجنبية لدول عالم الجنوب والدول الاسلامية، اما الوسيلة الثالثة هي السياسة العسكرية، وأخذت الحرب على الارهاب الحيز الاكبر فيها . كما تم البحث في الاطروحات الاسلامية المواجهة لاطروحة صراع الحضارات عبر مستويين الاول هو المستوى الرسمي داخل منظمة الامم المتحدة ومنظمة الدول الاسلامية وجا معة الدول العربية، وعلى الصعيد غير الرسمي فهناك اطروحات المفكرين والمؤتمرات الاس لامية التي ناقشت مسائل حوار الاديان وفكرة صراع الحضارات وما يتعرض له الاسلام من تجاوزات تمس الرموز الدينية للمسلمين.

وخلال هذا الفصل عرضت الباحثة مستقبل العلاقة بين الغرب والاسلام من خلال ثلاث ة مشاهد، المشهد الاول هو مشهد الحوار بالاستناد الى تطوير مشاريع الحوار والتقارب بين الحضارات والاديان، الا انه لم يتم ترجيح هذا

المشهد بسبب وجود منظمات ودول غربية– صهيونية تحاول افشال حوار الحضارات، والثقافات، والاديان . والمشهد الثاني هو مشهد الصراع ورجحت الباحثة هذا المشهد بسبب جملة من الشواهد والدلائل، لاسيما وان الغرب وجد ضالته لهذه الفكرة في احداث (١١ ايلول ٢٠٠١ واستخدامها كوسيلة لتكريس النزعة العدائية في عقل الانسان الغربي . اما المشهد الاخير هو مشهد التعاون والتفاعل، وهو مشهد افتراضي يمثل تحدياً امام العالم اليوم فهو شرط من شروط التعايش السلمي بين الشعوب فالتسامح والتعاون ضرب من السمو الخلقي وفوز للعقل على الغرائز وانتصار لنزعة الخير في الانسان على نزعة المخاصمة والعدوان، ومن ثم فهو يبقى ضمن الاطر النظرية وامال الخيرين من الباحثيين والمفكرين.

وأختتمت الدارسة باستنتاجات وتوصيات، واهم تلك الاستنتاجات هي :

١. ان الصراع سمة ثابتة ودائمة في الحضارة الغربية، وهي فكرة قديمة وليست جديدة، والجديد فيها هو الوسائل، وصراع الحضارة الغربية مع الحضارة الاسلامية اصوله متجذرة في الفكر الغربي .
٢. ادراك الغرب لاهمية الحضارة الاسلامية وانسانيتها؛ فلذلك سعوا الى تشويه هذه الحضارة بمختلف الوسائل .
٣. مارس الاعلام الغربي دوراً مهماً في الصراع عبر محاولة تشويه صورة الاسلام والمسلمين .
٤. السمات التي امتازت بها الحضارة الاسلامية هي السبب في بقاءها وانتشارها في بقاع العالم.
٥. الحوار هو من خصائص الحضارة الاسلامية، الحوار القائم على الندية والاعتراف بالاخر والتكافؤ ومعرفة الاخر واحترام خصوصيته ومعتقداته.
٦. عدم جدية مبادرات الحوار التي يطرحها الغرب سواء في حوار الحضارات او الثقافات او الاديان، وغالباً ما تتعثر مبادرات الحوار لاسباب سياسية او لتدخل منظمات ودول غربية– صهيونية تحاول افشال الحوار وجعل العالم يخضع لحالة من التوتر والصراع.
٧. مثلت احداث ١١ ايلول الذريعة لتثبيت فكرة صراع الحضارات، وان الصراع القادم هو صراع حضاري بعد توفر الفرصة للغرب بأتهام الاسلام بالارهاب والعنف والتطرف .

اما التوصيات فجاءت على تثبيت ضرورة الابتعاد عن الجانب السياسي لانه من الأسباب المهمة في إفشال حوار الحضارات. وضرورة الانصراف الى نقاط التقارب بين الحضارات لكي يسهل عملية التعايش، ومن ثم انجاح فكرة حوار الحضارات، على ان لا يمس هذا التقارب والتعايش الخصوصية العقائدية لكل دين، فلا حوار في مجال العقيدة لانه من الثوابت الاساسية في العقيدة الاسلامية .

فضلاً عن ذلك، فقد تضمنت التوصيات التأكيد على تطوير الخطاب الديني للمسلمين وعّده مطلباً اسلامياً، وتحسين وتطوير الاعلام في مواجهة الاعلام الغربي ونقل صورة صحيحة للغرب عن الاسلام لمواجهة الاعتداءات والاساءاة التي يتعرض لها الاسلام والمسلمون، وذلك لن يتم بلا الارتقاء بمستوى الافراد الملقى عليهم الحوار مع الغرب.